مفهوم الطائفية، نشأتها وأسبابها

The concept of sectarianism, its origins and causes

الكاتب: الدكتور عثمان محمد

الجامعة الأردنية

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١/٢١ تاريخ القبول: ٢٠٢٣/١/٢٤ تاريخ النشر: ٢٠٢٤/٢/١٥

الملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن مخاطر الطائفة والتي يُطلق عليها بحسب معجم أوكسفورد هو الشخص الذي يتبع بشكل متعنت طائفة معينة، أي أنه الذي يرفض الطوائف الأخرى ويغبنها حقوقها، أو يُكسب طائفته تلك الحقوق التي لغيرها، تعاليا على بقية الطوائف، أو تجاهلا لها وتعصبا ضدها، في حين لا يعني مجرد الانتماء إلى طائفة، أو فرقة، أو مذهب، جعل الإنسان المنتمي طائفيا، كما لا يجعله طائفيا عمله لتحسين أوضاع طائفته، أو المنطقة التي يعيش فيها، دون إضرار بحق الآخرين.

لذلك يمكننا الرجوع إلى مثل هذه الدراسات والأدبيات السابقة والتي تمكننا من التعرف عليها، ويوصي الباحث بضرورة توفير دراسات تتحدث عن هذا الموضوع وبشكل أكثر دقة.

الكلمات المفتاحية: الطائفية، نشأتها، تطورها.

Abstract

The current study aimed to reveal the dangers of sect, which according to the Oxford Dictionary is called a person who stubbornly follows a particular sect, meaning that he is the one who rejects other sects and deprives them of their rights, or grants his sect those rights that others have, out of condescension over the rest of the sects, or in disregard for them and intolerance against them. While simply belonging to a sect, sect, or sect does not make a person affiliated with a sectarian, nor does his work to improve the conditions of his sect or the region in which he lives make him a sectarian, without harming the rights of others.

Therefore, we can refer to such studies and previous literature that enable us to identify them, and the researcher recommends the necessity of providing studies that talk about this topic in a more precise manner.

Keywords: sectarianism, its origins, and development.

المقدمة:

تعيش المجتمعات الإنسـانية في اختلاف ديني وعقائدي وإن كانت من نفس الديانة، إلّا أن الاختلافات في الرؤى والمعتقدات إزاء الديانة والفكر والمعتقد الديني، قد تُحدث انقسـاماً بين الأفراد إلى طوائف، إذ يذهب كل من هذه الطوائف إلى تبني معتقد معين، يصـبح بالنسـبة لهم الأسـاس الذي يحدد ملامح الحياة الاجتماعية والدينية لدى تلك الطوائف.

وبالرغم من وجود انقسـام طائفي بين شـرائح مختلفة من المجتمع الواحد، إلّا أن تلك الطوائف طالما عاشـت بسلام فيما بينها، كلٌ على حدة يحدد طرق حياته وسبله واستراتيجياته المستقبلية، ومع ذلك، فقد ظهرت في السنوات القليلة الماضـية، وتحديداً في مطلع القرن الحادي والعشـرين انقسـامات طائفية في عدد من دول الإقليم العربي على وجه الخصوص، أحدثت شرخاً واسعاً في منظومة الحياة الأمنية والسياسية والاجتماعية في أواسط المجتمعات العربية، أدت إلى مواجهات مسلحة بين أبناء الوطن الواحد، أودت بحياة الكثير من الناس، وأثرت بشكل ملحوظ على مسيرة الحياة الأمنية على المستوى الإقليمي.

وبشكل أكثر وضوح، فإن الفصل الحالي يناقش مفهوم الطائفية وأبرز أشكاله وأنواعه، وكذلك سيسلط الضوء على نشأة الطائفية وأسبابها، وذلك من خلال مبحثين، الأول بعنوان تعريف الطائفية وأنواعها والثاني بعنوان نشأة الطائفية وأسبابها، ثم نضع تحليلاً لما ورد فيها.

المبحث الأول: تعريف الطائفية وأنواعها

مما لا شك فيه أن مفهوم الطائفية ظهر بشكل واسع النطاق في منطقة الشرق الأوسط وخصوصاً في المناطق العربية وتحديداً اثناء وبعد الغزو الأمريكي للعراق، حيث ظهرت العديد من الجهات التي بدأت تنادي بالانفصـال عن القومية والهوية الوطنية الموحدة لبعض الدول العربية، كالعراق وهي من أبرز الأمثلة على الصـراعات الطائفية، وقد أثرت بعض المعطيات السـياسـية على بلورة الطائفية وجعلها محوراً يحرك الأفراد وعلاقاتهم الإنسـانية والمجتمعية داخل البلد الواحد كالتدخلات الإيرانية على سبيل المثال والتي أدت إلى تشجيع ودعم المذهب الشيعي على حساب المذهب السني، ما أدى ذلك إلى الالتفات عن الهوية الوطنية الموحدة وبداية صـراع داخلي أدى إلى تدمير البنى التحتية وقوام الدولة ككل، ومن هنا برزت أهمية الطائفية ودورها في بلورة الأحداث السـياسـية والاجتماعية في منطقة الإقليم العربي، حيث سـعى العديد من المنظرين والكتاب والعلماء إلى محاولة إيجاد مفهوم موحد وشامل لمصطلح الطائفية، إلّا أن هذا المفهوم قد أخذ عدة منحنيات مفاهيمية ركزت بشـكل أسـاس على الانقسـامية بين أفراد المجتمع الواحد أو مجموعة من المجتمعات المعاصرة وظهرت العديد من أنواع الطائفية (بشارة، ٢٠١٨)، وفيما يلي نستعرض أبرز التعريفات الخاصة بالطائفية ثم نستعرض بعض اهم أنواعها:

أولاً: تعريف الطائفية

ورد تعريف الطائفية في أكثر من موضع، وفيما يلي نسلط الضوء على بعض تلك المفاهيم والتعريفات وهي:

أ. **في المعاجم العربية:** تم تعريف الطائفية في اللغة على أنها: التعصب لجهة معينة، وهي مصدر صناعي أو اصطلاح مشتق م لفظ (طاف، يطوف، طوفاً فهو طائف)، والطائفي هو الملتصق بطائفته وملازماً بما يطوف أو يدور في فلكه" (مصطفى، ٢٠٠٠: ٩٢٥).

ب. **تعريفات بعض الباحثين والخبراء المتخصصين:**

(١) عرفت الطائفية بأنها: "النموذج الأوضح لاستخدام الدين والعصبية القرابية في السياسة والنظر إلى الجماعة الدينية من حيث أنها جماعة مصالح خاصة، وهي تعود إلى إفساد السياسة التي تختلط بالقرابة وتفقد طابعها الديني" (محمد، ٢٠١٩: ٣٧٧).

(٢) وأيضاً فقد عرفت الطائفية على أنها: التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الأفراد، وهي استخدام تنوع ديني لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية وثقافية (متعب، ٢٠١٠: ١٧٤).

(٣) ومن جانب آخر، فقد عرفت الطائفية على أنها: "نزعة سياسية لا علاقة لها بالعقائد الدينية أو المذهبية، وإنما استغلت الخلافات المذهبية لأغراض مصلحية بعيدة عن الدين" (عبد اللطيف والعرداوي، ٢٠٢١، ص: ٢٧٦).

(٤) وعرفت الطائفية أيضاً على أنها: "ميل فردي أو اجتماعي لتفضيل تفسير محدد أو مدرسة فقهية لدين أو مذهب على غيرها، يتأثر بالظروف السياسية والاقتصادية مدعوماً بمفهوم اعتبار الذات في تفضيل أبناء الدين أو المذهب على غيره، وقد تتصاعد هذه الميول في بعض الأحيان، إلى الحد الذي تتخذ في أشكالاً عدوانية تجاه الآخرين من غير المذاهب والأديان، ويكون هناك ميل إلى الرفض والنبذ وحتى العزلة، ويمكن أن تدرج ضمن نتاج تفاعل عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، ذات مساس مباشر بحياة الفرد" (صبار، وطعمة، ٢٠٢٠: ٥٠١).

(٥) وعرفت على أنها: "نزعة وميل نحو خلق جماعات إثنية على أسس لغوية أو دينية أو عرقية أو ثقافية لتقسيم المجتمع، وتطغى هذه النزعة حينما يكون رجل السياسة غير وطني أو تكون الدولة ضعيفة فيسهل اختراقها وضرب وحدتها وتماسكها الداخلي، وذلك بتقسيمها إلى طوائف تتصارع على السلطة والتسلط على باقي الطوائف (محيسن، ٢٠١٧: ١-٢).

ومن وجهة نظر الباحث، فإن الطائفية مصطلح يشير إلى تأثير مجموعة سياسية بما تمتلكه من أفكار ومعتقدات سياسية، تعمل على دمجها مع الدين للتأثير على عوام المجتمع من منطلق روحانية الدين وما له من وقع وأثر في نفوس البشر الذين يسعون إلى التدين أو إيجاد قدوة دينية، يتأثرون بمبادئ ومعتقدات ذات منحنيات سياسية ذات غطاء ديني، وتنعكس على سلوكهم ليصبح عدائي تجاه أي جهة، أو ديانة، أو معتقد ديني أو مذهبي أو سياسي يناهض أفكار ومعتقدات الطائفة التي ينتمي إليها الفرد أو مجموعة من الأفراد.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

ثانياً: أنواع الطائفية

الجدير بالذكر أن الطائفية التي ظهرت في الآونة الأخيرة، انحصرت في المنطقة العربية والإسلامية على وجه الخصوص، وأحدثت خللاً أمنياً وشرخاً في المجتمعات العربية المختلفة، ولكن اللافت للانتباه أن الطائفية استخدمت لتحقيق أهداف وغايات مختلفة انطوت على دمج السياسة مع الدين في غالب الأحيان أو دمج السياسة مع الأفكار والمعتقدات الانفصالية والانقسامية المختلفة، من هنا أمكن القول بوجود عدة أنواع وأشكال من الطائفية التي ظهرت وانتشرت على نطاق واسع في العالم العربي والإسلامي ولا زالت آثارها واضحة في هذه المنطقة، ولعل من أبرز أنواع وأشكال الطائفية ما تمثل في النقاط الرئيسية الآتية:

١. **الطائفية الدينية:** ويُعنى بالطائفية الدينية، تعصب مجموعة من الأفراد أو مجتمع معين لفكر ديني محدد، وينبذ أي أفكار أو أديان أخرى، ويظهر التعصب في هذا النوع من الطائفية بالاختلاف لأفراد أو أتباع الطائفية للأديان الأخرى، ولا تظهر خلافات بين أبناء الدين الواحد، وبشكل أكثر وضوح، فإن هذا النوع من الطائفية يؤمن بالمطلق بأن ديانته هي الصحيحة وخلاف ذلك فهو باطل، وينبغي محاربته والانتصار عليه والحرص على عدم انتشار أديان أخرى، وإن كان الثمن مرتبط بالمواجهات العسكرية والدموية، فالتصعب لديانة واحدة دون غيرها يمثل الطائفية الدينية التي تؤمن بديانتها دون الديانات الأخرى ودون العيش بتوافق أو سلم بين الديانات الأخرى (صالح، ٢٠١٦).

٢. **الطائفية المذهبية:** وهي تعصب مجموعة من الأفراد لمذهب معين دون غيره من نفس الديانة، ويتخلف عن سابقة (الطائفية الدنية) بأن هذا النوع من الأفراد يختلفون عن أقرانهم من نفس الديانة اختلافاً طفيفاً أو جوهرياً في الأفكار والمعتقدات والممارسات الدينية، حيث يذهب البعض إلى تكفير البعض الآخر، ويُعد هذا النوع من الطائفية الأكثر انتشاراً في المنطقة العربية، وأبرز الطوائف المختلفة في هذه المنطقة هي الطائفتين السنية والشيعية، حيث تذهب كل طائفة للطعن بالطائفة الأخرى ومحاربتها دون الالتفات إلى الدو الحقيقي الذي يريد إنهاك وتدمير الأمة العربة والإسلامية، وإنما ينصب تعصب هذه الطوائف ونزاعها مع بعضها البعض من نفس الديانة، ولعل أبرز مثال على المواجهات والصراعات بين أفراد هذه الطوائف هي الحرب بين أهل السنة والجماعة والطائفة الشيعية في عام (٩٥٩م/ ٣٤٨هـ) والتي ذهب ضحيتها الآلاف من كلا الطرفين، ولا زالت الصراعات بين الجانبين قائمة حتى يومنا هذا والتي لربما تخدم مصالح سياسية أو أفكار خارجية يتم تنفيذها بيد أبناء الطوائف الإسلامية في المنطقة (الشمري، ٢٠١٩).

٣. **الطائفية القومية:** ويُعد هذا النوع من الطائفية من أكثر الطائفيات تعقيداً، حيث تذهب كل قومية بالمناداة والتعصب لكيانها، وعديدة هي الأمثلة إزاء هذا النوع من الطائفية في عالمنا العربي، فهناك القومية الكردية في العراق وسوريا، وهناك القومية الفارسية في إيران والعراق، وهناك القومية العربية التي بنفس الوقت تنطوي على عدة طوائف داخلية دينية ومذهبية، وعليه، فإن كل من هذه الطوائف يتعصب أفرادها لمبدأ القومية دون التعصب لديانة أو مذهب أو جوار جغرافي، وإنما التعصب يهذب للقومية وتحمل العداء للقوميات الأخرى، فنجد هناك عداءً بين السنة أنفسهم من الكرد وبين الشيعة من الكرد، وكذلك مجد عداءً بين شيعة اليمن الزيدية العربية وشيعة العراق الاثني عشرية الفارسية، أو شيعة إيران أنفسهم، فهند التطرق إلى هذا النوع من الطائفية، نجد فيه من التعقيد والتشابك الذي طالما أنهك النسيج العربي

والإسـلامي، كما أنهك النظام الأمني الشـمولي للإقليم العربي ككل، لما فيه من صـراعات داخلية بين القوميات وما في هذه القوميات من طوائف مختلفة (مساد، ٢٠١٩).

٤. **الطائفية العرقية:** وفي هذا النوع من الطائفية، تخرج الأفراد عن نطاق المذهبية إلى نطاق العرق، فيذهب كل مجتمع عرفي للتعصب لعرقه، وتكثر هذه الشرائح في المجتمعات الغربية والأمريكية وكذلك الآسيوية كالتركية على سبيل المثال، ويقع هذا النوع من الطائفية داخل حدود دولة معينة، ينتشـر بين أفرادها الصـراعات على خلفيات عرقية، وينادي كل عرق بأفضـليته على العرقيات الأخرى كأصـحاب البشـرة البيضـاء والسـوداء، وكالخلفيات التاريخية لكل فرقة أو طائفة عرقية لينشب بينهم صراع حول أفضلية العرق والفكر والاتجاه السياسي (مساد، ٢٠١٩).

٥. **الطائفية السياسية:** ويظهر هذا النوع من الطائفية عندما تتعاظم قوى الأطراف السياسية، والتي تسير الدين بمقتضى حاجاتها وأهدافها، حيث يسـتخدم السـياسـيين ورقة الطائفية الدينية لتحريك الشـارع المحلي تجاه قضـية ما أو للمشـاركة السياسية أو خلاف ذلك من أهداف ومنطلقات سياسية، وعادةً ما يلجأ إلى هذا الحل الطبقة الفاسدة من السياسيين لبناء دولة مدنية قائمة على التعصب الطائفي المدمج مع الشريحة السياسية لتغطية فشل تلك الطبقة في إدارة البلاد سياسياً (خيون، ٢٠١١).

٦. **الطائفية الاجتماعية:** ويُعنى بالطائفية الاجتماعية هي تعصـب أفراد مجتمع معين لاتجاه أو لجهة معينة كالعائلة و العشـيرة أو القبيلة أو خلاف ذلك من التجمعات الإنسـانية، وبعيداً عن النظرة الدينية أو العرقية، تتعصـب كل شـريحة للقبيلة أو العائلة، وإن كانت القبائل أو العائلات من نفس الديانة أو العرق أو من أبناء الوطن الواحد، وإنما الاختلاف يكمن في العائلة أو القبيلة كما أسلفنا ذكره، وتظهر أشكال التفاوت في الفكر والمعتقد والاتجاه بين هذه الشرائح، وعادةً ما تظهر الصراعات بين هذه الشرائح على خلفيات سياسية كالمشاركات السياسية المتمثلة بالانتخابات النيابية في بلد ما أو مجتمع معين، ينتصر كل فرد فيه لعائلته أو قبيلته (مكي، ٢٠١٨).

٧. **الطائفية الاقتصادية:** وهي عبارة عن تعصب أفراد لمعتقد اقتصـادي معين، وخير مثال على هذا النوع من الطائفية، هو الطائفية الرأسمالية والطائفية الاشتراكية، وخلاف ذلك من أشكال الطائفية التي ترتبط بالاقتصـاد المحلي أو الوطني أو العالمي، كما يمكن للتعصـب الصـادر عن الطائفية الاقتصـادية، حجب تعامل دولة ما أو مجموعة من الأفراد تجارياً مع دولة أخرى أو تجار آخرون يختلفون معهم في الفكر والمعتقد الاقتصـادي، وقد ينشأ الصـراع بين هذه الطوائف، تماماً كالحرب الباردة التي قسمت العالم بين الاشتراكية السوفيتية والرأسمالية الأمريكية (ديبة، ٢٠١٩).

٨. **الطائفة الثقافية:** وهي تعصـب فئة معينة من الأفراد لثقافة معينة يعتنقها مجتمع آخر، تماماً كالترويج الذي تقوم به دولة متقدمة معينة مما تملكه من ثقافات وعلوم وتقدم في مختلف مجالات الحياة، حتى تصـبح هذه الدولة بما تلمكه من تقدم وتطور، تمثل ثقافة الدولة التي تعتبر جاذبة للثقافات العالمية، ولو أمعنا النظر لوجدنا على سـبيل المثال وجود تعصـب شـرقي للثقافات الغربية بما تمتلكه هذه الدول الغربية من تقدم وعلم وثقافة عدت جاذبة للمجتمعات الشـرقية التي باتت تتعصب لتلك الثقافات وتسعى إلى تطبيقها في المجتمعات الشرقية عموماً والعربية تحديداً (الكعود، ٢٠١٦).

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

٩. **الطائفية الإعلامية:** لعل من الجدير بالذكر تسليط الضوء على هذا النوع من الطائفية والذي انتشر بشكل واسع النطاق في أواسط المجتمعات العربية تحديداً، حيث تظهر الطائفية الإعلامية بشكل ملحوظ من خلال الولاء والاتجاهات الإعلامية لقنوات فضائية أو جهات إعلامية لجهة سياسية معينة، أو لدولة ما، لتقوم بتحسين سمعتها أو صورتها أمام المجتمعات المحلية، وعلى العكس من ذلك، تقوم القنوات الإعلامية أيضاً بتشويه سمعة أو صورة شخصية معينة أو دولة ما أمام المجتمع ككل، وذلك لوجود اختلاف سياسي بين الدولة الحاضنة لتلك القنوات الإعلامية وبين الدولة التي يراد تشويه صورتها أو صورة شخوصها السياسيين (مساد، ٢٠١٩).

ووفقاً لما تقدم، فإن الطائفية بمعناها المجرد تشير من وجهة نظر الباحث إلى الانفصال وعدم الوحدة والاجتماع بين أفراد مجتمع معين أو مجتمعات أخرى، ويعود ذلك إلى عدة أسباب سيتم التطرق إليها في المبحث اللاحق، إلّا أن السبب الجوهري وجود دوافع وأسباب سياسية، يسعى من خلالها رجالات الطبقة السياسية إلى إحياء الطائفية لتنفيذ خططهم السياسية من تقسيم المجتمع أو تغطية حالات الفشل الإداري أو تدمير الأسس الفكرية والبناء المعرفي والتاريخي لدولة ما، ليتسنى للطبقة السياسية عدم وجود منافسين لهم في مناصبهم السياسية في ظل الانقسام بين أفراد المجتمع الواحد.

المبحث الثاني: نشأة الطائفية وأسبابها

تُعد الطائفية أحد سمات العصر الحديث في المنطقة العربية بشكل خاص، ولم تظهر الطائفية محض صدفة، وإنما ظهرت وتطورت نتيجة أحداث سياسية ودينية وثقافية ومجتمعية مختلفة، وكانت هناك العديد من الأسباب التي أسهمت بشكل أو بآخر في تطورها على النحو الذي بتنا نراه في عالمنا المعاصر، وفيما يلي نستعرض نشأة الطائفية ثم نبين بعض أبرز أسبابها، وعلى النحو التالي:

أولاً: نشأة الطائفية

لا شك بأن البحث في أصل نشأة الطائفية سيقودنا إلى نتائج متعددة ومختلفة لكن يمكن القول أن الطائفية في وطننا العربي نشأت في جمهورية لبنان وذلك في أواخر عمر الدولة العثمانية، وفي ظل ضعف الدولة، وتوغل وتدخل القوى الغربية في الشأن الداخلي للدولة العثمانية، وفي المنطقة العربية تحديداً، وبالانطلاق من لبنان، التي تجمع العديد من الأديان والمذاهب والقوميات بالرغم من صغر حجم المنطقة، إلّا أنها مثلت الفرصة الحقيقية للجانب الغربي لزرع الطائفية وإنشائها لتصبح أيقونة الطائفية العربية ككل، حيث قامت كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا أيضاً بالضغط على الدولة العثمانية بأن تكون الدول القائمة بشؤون الطوائف اللبنانية في عام ١٨٤١م، حتى رضخت الدولة العثمانية إلى مطالب القوى الغربية بتقسيم جبل لبنان إلى طائفتين الأولى وهي الطائفة المسلمة تحت حكم الدولة العثمانية، وطائفة مسيحية تستمد قوتها ونفوذها من الدول الغربية وامتلاكها حكم ذاتي يميزها عن الطائفة المسلمة، ثم ظهرت بعد ذلك الطائفة الدرزية أيضاً بدعوة غربية، حيث تأخذ كل طائفة مكاناً معيناً للعيش فيه يفصل بينهم طرق وحواجز تعمل على تمييز أفراد المجتمع اللبناني عن بعضهم البعض، مع احتفاظ دول الغرب للحق برعاية هذه الطوائف وارتباطها بالقنصل الفرنسي آنذاك، وما لبث الأمر إلى أن اندلعت حالات شغب بين اللبنانيين أنفسهم على خلفيات طائفية مسيحية ودرزية بشكل

خاص، مما نتج عنها مواجهات عسكرية أدت إلى زعزعة الأمن في المنطقة، وإنهاك الدولة العثمانية بتلك الأحداث، وإحداث انقسام في الشارع العربي ككل (جنوبية، ٢٠١١).

وفي عام ١٩٢٦م أصبحت الطائفية في لبنان تشريعاً حقيقياً، ويُعد ميشال شيحا* وهو واضع الدستور اللبناني في عام ١٩٢٦ أحد أبرز رواد ومنظري الطائفية العربية، حيث وضع الدستور اللبناني على أساس طائفي، من منطلق التنوع الطائفي في البلاد والأقليات الطائفية في لبنان، وأشار شيحا إلى أن الطائفية ما هي إلّا "كيان اجتماعي قائم بذاته، متماسك بلحمته الداخلية، عميق الجذور في وجوده"، ومن هذا المنطلق تم اعتبار الطائفية بأنها الوحدة الاجتماعية الأولى للمجتمع اللبناني وأن الطائفية هي المكون الرئيس للسلطات الثلاث في البلاد، بالتشارك والعمل الجاد والمنافسة بين طوائف المجتمع اللبناني نحو التطور والتنمية والتميز للدولة ككل، إلّا أن المنحنى الذي وضعه الغرب في الشأن اللبناني لم يكن لغايات النهوض بالمجتمع اللبناني أو العربي ككل، وإنما لتقسيم المجتمع بين طوائف وديانات تشوبه الصراعات والنزاعات الطائفية والدينية والسياسية والثقافية وخلاف ذلك من أشكال الصراع المتأتي عن تبني النهج الطائفي في البلاد، ثم ما لبث الأمر إلى أن انتقلت الطائفية إلى عدة دول عربية أبرزها العراق وسوريا وبشكل ملحوظ، وهناك دولاً خليجية أيضاً ظهرت فيها الطائفية بنسب متفاوتة كمملكة البحرين والكويت وغيرها من دول عربية، مما انعكست سلباً على ملامحها حيث أصاب الكثير منها التأخر والقصور والضعف في إدارة البلاد بمؤسساتها المختلفة، وكذلك القصور في إدارة شؤون حياة الأفراد أنفسهم وسبل حياتهم ومتطلباتهم المختلفة، مما أثر على الأمن والتنمية والتطور في مختلف الأنشطة والمجالات وذلك كله بسبب وجود الطائفية الانقسامية في البلاد (ديدو، ٢٠١٤).

ثانياً: أسباب الطائفية

من هنا أمكن القول بان الطائفية هي الحلقة الأضعف في كيان الأمة العربية والإسلامية، وهي النقطة التي ارتكزت إليها القوى الخارجية لضرب وتدمير الكيان العربي، ومنع أي اتحاد عربي في أواسط المجتمعات العربية وكذلك بين النظم السياسية التي باتت تتبع طوائف بعينها، تحركها دولٌ خارجية إقليمية أو عالمية، تسعى إلى تدمير وإنهاك القوى والكيان العربي، وتحجب أي شكل من أشكال الأمن والاستقرار في المنطقة العربية، ليتسنى للقوى الخارجية من التوغل والسيطرة على المنطقة العربية بشكل عام.

ومع ذلك، فإن لظهور الطائفية أسباباً مختلفة أدت إلى ظهور وانتشار الطائفية كمصطلح وكظاهرة واسعة النطاق، ولعل من أبرز أسباب ظهور وانتشار الطائفية في المناطق العربية والإسلامية تحديداً، كل مما يلي من أسباب:

١. **الأسباب التاريخية:** لا شك أن للجانب التاريخي دوراً بارزاً في ظهور الطائفية في أواسط المجتمعات المعاصرة، إذ أن ما مرت به الدول العربية على وجه الخصوص من أحداث تاريخية تمثلت بالحروب والصراعات أو أوجه الحضارات

** ميشال شيحا (١٨٩١ -١٩٥٤) واضع دستور استقلال لبنان عام ١٩٢٦، ولا تزال أفكاره السياسية والفلسفية تؤثر على مسيرة لبنان الاقتصادية والسياسية. كتب ميشال شيحا في ثلاث قضايا: لبنان، فلسطين، وحالة العالم في زمنه.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

المختلفة من ثقافة واقتصـــاد وخلاف ذلك من مظاهر وظواهر مختلفة خلقت أحداث معينة وشـكلت أخبار تاريخية، باتت تشكل اليوم معلومات يستند إليها السياسيين في الضغط على الشارع المحلي باسترجاع بعض تلك الأحداث، لإثارة الفتن والتوترات والصـراعات بين أبناء المجتمع، فعند تذكير شـريحة معينة من المجتمع العربي بأحداث تاريخية ذات آثار سـلبية بين جانبين أو أكثر، تماماً كالتذكير بمقتل الحسـين بن علي بن أبي طالب على سـبيل المثال، واسـتخدام أسـاليب تثير العاطفة باســـترجاع تلك المعلومات، واتهام جماعات أخرى بتلك الحادثة، لتعود مرة أخرى النعرات بين أبناء المجتمع بين مؤيد ومعارض تاريخياً، ومن ثم عودة الصـــراعات والنزاعات فيما بينهم على أســـس وأحداث تاريخية (صـــبار وطعمة، ٢٠٢٠: ٥٠٢).

٢. **الأسباب السياسية:** تعتبر الأسباب السياسية أحد أبرز وأهم أسباب ظهور الطائفية في المجتمعات العربية، ذلك أن المجتمع العربي ككل، لطالما مثل مجتمعاً موحداً ذو تاريخ وثقافة وديانة ومبادئ وعادات وتقاليد مشـــتركة، وتســـود أمة العرب علاقات قبلية وأسـرية وتقارب لا تكاد تجده في كثير من المجتمعات العالمية، وأن هذا التماسـك بين العرب جميعاً، لطالما شـــكل أحد نقاط القوة التي وقفت في وجه أنظمة الاســـتبداد الداخلية والحكم القهري للمناطق العربية، وكذلك أمام الاحتلال الخارجي، إذ كان التكاتف بين أبناء المجتمعات العربية هو سيد الموقف في كثير من الأحيان، وأن التماسك فيما بينهم أدى إلى خلق قوة حقيقية منعت قوى الاستبداد والاحتلال من السيطرة على هذه المنطقة، وردعتهم وحافظت المنطقة العربية على كيانها وتماسـكها بشـكل سـليم لقرون طويلة، ومع ذلك، فإن اسـتخدام طرق وأسـاليب التقسـيم نالت من هذا التماسك، وكان من أبرز تلك الأساليب هي الطائفية، فلا يمكن لأي قائم أو نظام سياسي استبدادي أن يستمر بحكم الدولة إلّا أن قام بتقسـيم الدولة نفسـها، تحت شـعار فرق تسـد، فقامت النظم السـياسـية والقادة الاسـتبداديين والمتسـلطين بتعزيز الطائفية وتقوية جذورها وجعل الطائفية الكيان الأوحد الذي يتبعه العديد من الأفراد داخل المجتمع الواحد، وذلك من منطلق أن غياب الطائفية سيؤدي إلى عودة التماسك بين الأفراد، وبالتالي التكاتف فيما بينهم لردع قوى الاستبداد الداخلية المتمثلة بالنظم السياسية ومؤسسات الدولة الفاسدة (عبد اللطيف والعرداوي، ٢٠٢١).

ومن جانب آخر، فإن القوى الخارجية أيضـاً كان لها دوراً بارزاً بدعم الطائفية، للسـيطرة على الدولة بعد انهاكها وانعدام أمنها واسـتقرارها، فأي من دول المنطقة العربية، وخصـوصـاً التي حجبت عنها مظاهر الأمن والاسـتقرار بسـبب الصـــراعات الداخلية، لم تتوانى عن طلب الدعم والشـراكات الأمنية من دول الغرب، والتي بدورها ســارعت لتكريس وجودها في تلك الدول، ومن ثم التحكم بنظامها السياسي وبمقدراتها وثرواتها ومكانتها مكانها الجغرافي، وبشكل أكثر وضوح، فإن الأطماع السياسية الغربية شجعت بشكل أو بآخر إلى ظهور الطائفية ودعم صراعتها لانعدام الأمن في البلاد وبالتالي تصـــاعد وتيرة الصـــراعات والحروب الداخلية والتي نودي عليها بالإرهاب، ثم دخول القوى الخارجية بذريعة محاربة الإرهاب المتأتي عن الطائفية لتحقيق أهدافها السياسـية والاقتصـادية وتوسـعة دائرة نفوذها السـياسـي على أكبر قدر ممكن من المساحات الجغرافية في الشرق الأوسط بشكل عام، والمنطقة العربية على وجه الخصوص (الصفار، ٢٠٠٨).

٣. **الجهل:** يُعد الجهل من أبرز أســـباب ظهور وانتشـــار الطائفية، حيث يركز البعض على المواطن التي يطغى على ملامحها الجهل في كثير من أمور الحياة، أبرزها أمور الدين واللغة الصـحيحة، والثقافة وخلاف ذلك من أشـكال الجهل،

وتعتبر المجتمعات التي تحتوي أشـكال مختلفة من الجهلة بأمور الحياة الدينية والتاريخية والمعاصـرة، بمثابة الأرضـية الخصبة التي من الممكن أن تبث داخلهم أفكاراً يتم تسويقها بطرق احترافية تحاكي العاطفة الدينية والقومية، ليصبح أولئك الأفراد مناصرين لأفكار طائفية وانقسامية معينة، ومع مرور الزمن، تشكل هذه الشرائح قوة شعبية يتم دعمها من جهات خارجية تسـعى إلى تكريس الانقسـام الداخلي في الدولة، وأن الجهل لدى أولئك الأفراد في وقت يجدون فيه دعم مادي ومعنوي خارجي أو من خلال سدة النظام السياسي، يجعل منهم أكثر إرادة في محاربة شرائح مجتمعية أخرى ذات طابع ديني أو فكري مختلف عنهم، ليظهر شكل من أشكال الطائفية يحمل أفكاراً مستمدة من أفكار خارجية أو اتجاهات هادمة للمجتمع المحلي وتظهر بعد ذلك الصراعات بين هذه الطائفة وبقية طوائف المجتمع الواحد (صبار وطعمة، ٢٠٢٠).

٤. **الأسباب الدينية:** وتُعد الأسباب الدينية قوام الأسباب الكلية لظهور وانتشار الطائفية في العالم العربي والإسلامي على نطاق واسع، حيث أدت الاجتهادات التي تبناها العديد من الأطراف لتفسير الدين وتأويل نصوصه إلى تداعي الكثير من الأفراد الذين ذهبوا إلى تفسير الدين على دون علم ودليل وبرهان، وذهب كل منهم إلى تفسير الدين ونصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بحسب فهمهم المحدود لها، الأمر الذي ولدَ أفكاراً متضاربة لا أساس لها من الصحة، وبعيدة كل البعد عن المعاني الصحيحة للنصوص الدينية، وبدأت تظهر شرائح وفرق مختلفة كل منها يتبنى نهج معين، يؤمن به ويدعمه بحجج وأدلة لا تستند إلى العلم السليم في فهم النصوص الدينية، والأكثر من ذلك، وجود مناصرين لهؤلاء الأفراد وهم من الجهلة إلى حد ما، أو من الذين لا يدركون المعاني الصحيحة للنصوص الدينية، وفي وقت يسعى أفراد المجتمعات العربية والمسلمة إلى وجود طفرة دينية، وقيادة إسلامية تقودهم، بات من السهل التأثير عليهم وخلق انقسامات فكرية دينية فيما بينهم، ثم تطورت هذه الفرق إلى حد الوصول إلى استحداث اجتهادات في تسيير شؤون الدين كالتقرب من القبور لصلتهم بالله تعالى من وجهة نظرهم، وغيرها من اجتهادات بعيدة كل البعد عن الدين القويم، وبمجرد انتقادهم من جهات دينية أخرى، يظهر التعصب والصراع فيما بينهم، فكل طائفة منهم يرون أنهم على حق، كيف لا وقد نشأت كل فرقة منهم منذ الطفولة وحتى الشيخوخة على نهج معين من الاجتهادات التي باتت تشكل أصلاً في فكرهم ومعتقدهم الديني، ومن هنا ظهرت الطائفية بصورتها التي انتشرت في أيامنا هذه وباتت تشكل صراعات وحروب بين الأفراد على خلفيات دينية لا يعلم الكثير مدى صحة تأويلها وحقيقتها وأبرز هذه الصراعات هي الصراعات بين أهل السنة والجماعة وأهل المذهب الشيعي (عبد اللطيف والعرداوي، ٢٠٢١).

٥. **الأسباب الاجتماعية:** يمثل المجتمع وما فيه من ظواهر مختلفة، الحاضنة الأولى والصورة الأولية لشكل الدولة، وإن ما ينطوي عليه المجتمع أو المجتمعات المختلفة من مظاهر الحياة وطرق المعيشة ومن أفكار ومعتقدات تمتزج مع طرق الحياة للأفراد، بمثابة المدرسة التي يستقي منها الفرد أفكاره ومعتقداته وقيمه واتجاهاته، كما أن الدولة بحد ذاتها وصورتها العالمية، تُمثل انعكاساً لما عليه مجتمعاتها الداخلية، ووفقاً لمدى أهمية المجتمعات الداخلية للدول، فيمكن القول بأن الظروف الاجتماعية المتمثلة بالفقر والبطالة مع وجود الجهل والتعصب الديني، بالإضافة إلى المآسي الاجتماعية التي يعيشها العالم العربي، تعمل على ظهور انقسامات بين المجتمع الواحد، حيث تظهر مظاهر السخط لدى فئات وشرائح مجتمعية تجاه فئات أخرى ممن يمتلكون فرص أكثر إيجابية في إنصافهم في مجتمعات التي يعيشون بها سواءً في

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

امتلاكهم لوظائف وأعمال أو في حصـــولهم على خدمات عامة، الأمر الذي يولد انقســـاماً بين فئات المجتمع، ومع وجود داعمي الانقسامات في هذه المجتمعات، سواءً كانوا من داخل البلاد أو من خارجيها، تبدأ حينها اتساع دائرة الخلاف بين الطرفين، ومع وجود الطابع الديني الذين يجده المعدمون منفذهم الوحيد في حياتهم الاجتماعية ويجدون أنهم الأكثر دراية بالدين ممن لديهم كافة الامتيازات، وأيضاً في نظرة الفئة الأخيرة بأن لديهم الحق في مكانتهم الاجتماعية المرموقة نظراً لما لديهم من علم أو ثقافة أو اجتهاد أو حتى مناصـب وتوصـيات من سـياسـيين أو رجالات الدولة، وأن الدين للجميع وليس لطائفة معينة وإنما الفارق بينهم هو الاجتهاد والجد في إثبات الوجود، فكل شـريحة من هذا المجتمع يحمل السـخط والعداء للآخر، في وقت تغيب فيه الثقافة الشـــمولية بمحاور الحياة الإنســـانية والدينية والثقافية، ويظهر الجهل بالدين والســـعي لتسـخير الدين لمصـالح شـخصـية، عندها يظهر التفاوت في المجتمع وتبدأ الصـراعات على أسـس طائفية بين الجانبين، بالتالي انقسام المجتمع نفسه، كما قد تنشب الصراعات بين الجانبين وبالتالي انعدام الأمن والاستقرار نتيجة تلك الصراعات (بلان، ٢٠١٢).

وإذا ما أردنا تســليط الضــوء على الجانب الاجتماعي بشــكل أكثر وضــوح لمعرفة الكيفية التي من خلالها يكون هذا الجانب ســـبباً في خلق وانتشـــار الطائفية، فيمكن القول بأن وجود الفقر في المجتمعات المعاصـــرة، يرافقه العنف والصـراع، فالفقر يولد الحاجة والوحدة والمآسـي وعدم الشـعور بالأمن والاسـتقرار، كما تتلاشـى أي طموحات مستقبلية لدى الأفراد، وأن انعدام الأمن من شـــأنه أن يخلق حالة من عدم الاكتراث والحفاظ على أمن الفرد نفســـه واســـتقراره بسبب عدم يقينه بالغد أو بأي أمل قادم، وهو يعلم يقيناً أن حياته بلا معنى في ظل وجود شرائح مجتمعية تنعم بحياة كريمة وأكثر انصـــافاً لهم ولمسـتقبلهم، عندها يتولد لدى الفقراء طابع الحقد والغضـــب، ومع وجود جهات خارجية أو سـياسـيين متسـلطين، يقومون بإثارة الفتن بين الجانبين، وخصـوصـاً لدى الفقراء، تبدأ حينها الصـراعات الداخلية على أســـس طائفية بين الفقراء والأغنياء، والتي ســـرعان ما تتحول إلى صـــراع طائفي ديني بين المتدنيين من الفقراء والعلمانيين من الأغنياء (دوفرجيه، ١٩٩٢).

وعليه، فإن الأســـباب الاجتماعية من وجهة نظر الباحث، تحمل في طياتها أســـباب ظهور وانتشـــار الطائفية متعددة الأشـكال، ليس فقط على صـعيد الطائفية الدينية، بل الطائفية على أسـس مجتمعية، واقتصـادية، وتنموية، وتعليمية، فكل تفاوت بين الأفراد، وانعدام للعدل والمساواة والحكم الرشيد، سيولد بلا شك طوائف مجتمعية تتبع أفكاراً دينية أو قيمية، أو اقتصـادية وغير ذلك من أفكار ومعتقدات، تؤدي جميعها إلى إحداث شـرخ في المجتمع الواحد بين فرقتين أو طائفتين أو أكثر، ليعم بعد ذلك مظاهر الفوضى والصراع بين أبناء المجتمع، أي أن كل من هذه المظاهر وأسباب الطائفية الاجتماعية، تظهر على يد النظام السياسي أو على يد الاستعمار أو بتوصيات خارجية من دول تسعى إلى إحداث انقسام في هذه المجتمعات.

التحليل:

عند الحديث عن الطائفية، فنحن نشـير بلا شـك إلى الانقسـام الداخلي في بلد ما أو مجتمع معين، وغالباً ما يكون هذا الانقسـام على أسـس دينية في المقام الأول، وقد ظهرت الطائفية في القرن التاسـع عشـر في لبنان على أسـس دينية، وانتشـرت بشـكل بطيء بين أواسـط العالم العربي، ولكن ومع انتهاء الغزو الأمريكي للعراق، ظهرت بعض الدول

الإقليمية مثل إيران التي باتت تقدم الدعم للطائفة الشيعية على حساب الطائفة السنية، ما أدى إلى إحداث صراعات داخلية راح ضحيتها الآلاف من أبناء المجتمع العراقي، وهو ما حفز العديد من أصحاب الطوائف العربية مختلفة الخلفيات الدينية والمذهبية والفكرية، للذهاب إلى ما ذهبت إليه العراق من انقسام طائفي، وسرعان ما انتشرت الطائفية وظهرت إلى العلن في كل من سوريا ولبنان والعراق وبعض دول الخليج العربي، الأمر الذي أدى إلى خلل في بنية المجتمعات العربية، وأدت إلى خلق ثورات عارمة وحراكات شعبية وسياسية مختلفة، أدت إلى خلق حالة من الفوضى العارمة في العالم العربي بين صراعات مذهبية وسياسية وعسكرية، أودت بالعديد من النظم السياسية كما أودت بحياة مئات الآلاف من الشعوب العربية.

على الرغم من تعدد أشكال وأنواع الطائفية بين الطائفية الدينية، والمذهبية، والاجتماعية والثقافية وكذلك الإعلامية والقومية والعرقية والسياسية، إلّا أن جميعها يشترك في ذات الأثر وهو انقسامات المجتمعات العربية، وانعدام الأمن والاستقرار الوطني والإقليمي على حد سواء، ولعل من المهم الإشارة إلى أن الطائفية لم تنشأ محض صدفة، بل هي نتائج الأفكار الاستعمارية التي كرست هذا المفهوم بشكل سليم، حتى تبناه العرب أنفسهم، وانقسموا إلى طوائف واتجاهات مختلفة، أدت إلى إحداث الضعف والخلل في بنية النظام العربي ككل، ما أدى بالمنظومة العربية إلى أن تقع تحت احتلال القوى العظمى صانعة الطائفية في العالم العربي.

ومن جانب آخر، فإن أسباب ظهور الطائفية قد تعددت بين أسباب دينية وسياسية وتاريخية، واجتماعية وخلاف ذلك، وكذلك الجهل المدقع بين المجتمعات العربية، إلّا أن السبب الأول من وجهة نظر الباحث، ألّا وهو الفكر الاستعماري للقوى الغربية، إذ سعى هذا الفكر إلى استعمار المنطقة العربية وجعلها منطقة صراعات داخلية لتتمكن تلك القوى العظمى من السيطرة على النظم السياسية العربية، وعلى المنطقة برمتها، وبالتالي الانتفاع من مقدرات المنطقة العربية، وما تملكه من طاقة وجغرافيا، وأيضاً منعاً لوجود أي اتحاد بين المجتمعات العربية، قد يؤدي إلى ظهور قوة عربية حديثة تعمل على إقصاء القوى الغربية عن المنطقة العربية ومقدراتها ومصالح تلك الدول في العالم العربي، أو حتى تهديد القوى العالمية التي تدرك تماماً أن انتهاء عصر الطائفية والانقسام الدولي، سيؤدي بالشعوب العربية للالتفات والبحث عن القوة الرادعة للوجود الغربي في المنطقة العربية، وكذلك منافسة تلك القوى واستعادة مكانة وأمجاد الأمة العربية والإسلامية عالمياً.

قائمة المصادر والمراجع:

دوفرجيه، موريس (١٩٩٢)، المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، ترجمة: جورج سعد، ط: ١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بلان، عماد (٢٠١٢)، الطعم الأخير للطائفية، مجلة همس النوافذ، المجلد ١، العدد (١٢).

جنوبية (٢٠١١)، نشأة الطائفية السياسية ومنشأ المطالبة بإلغائها، موقع جنوبية، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/١١/١٥، https://janoubia.com/.

ديدو، محمد (٢٠١٤)، ما هي الطائفية؟ حوار مع سلامة كيلة وفكتوريوس شمس، موقع تبرع، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/١١/١٥، https://www.opendemocracy.net/ar/---2/.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

صـــبار، محمد وطعمة، أمجد (٢٠٢٠)، الدعاية الطائفية: دراســة تحليلية في واقع ومســتقبل الظاهرة (العراق أنموذجاً)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤٧، العدد (٢)، ص ص: ٤٩٨ – ٥١٠.

الصفار، حسن (٢٠٠٨)، منافذ المحاولات الخارجية، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، المجلد ١، العدد (٤٨).

خيون، رشيد (٢٠١١)، جماعات وأحزاب في كتاب: شيعة العراق (المرجعية والأحزاب)، ط: ٣، دبي: مركز مسبار للدراسات والبحوث.

جبية، غســـان (٢٠١٩)، بؤس عالم الاقتصـــاد الطائفي، موقع الأخبار، تاريخ الوصـــول: ٢٠٢١/١١/١٥، https://al-akhbar.com/Capital/276042.

مصطفى، إبراهيم (١٩٨٩) المعجم الوسيط، اسطنبول: دار الدعوة للنشر والتوزيع.

مساد، جبران (٢٠١٩)، ماذا أنجب لنا رحم القومية العربية؟ مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

الشمري، جاسم (٢٠١٩)، أنواع الطائفية، موقع عربي ٢١، تاريخ الوصول: ٢٠٢١/١١/١٤، https://arabi21.com/.

مكي، لقاء (٢٠١٨)، الطائفية الاجتماعية والطائفية السياسية في العراق، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

متعب، عبد السلام (٢٠١٠)، النظام السياسي في العراق بين المحاصصة والطائفية منذ عام ١٩٢١ – ٢٠٠٣، مجلة حوار الفكر، المجلد ١، العدد (١٤).

صـــالح، جلال (٢٠١٦)، عرض كتاب: الطائفة الدينية: بواعثها، واقعها، مكافحتها، المجلة العربية للدراســـات الأمنية، المجلد ٣٢، العدد (٦٦)، ص ص: ١٥١ – ١٥٤.

بشارة، عزمي (٢٠١٨)، الطائفية، الطوائف المتخيلة، ط: ١، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

عبد اللطيف، سامر، والعرداوي، خالد (٢٠٢١)، الطائفية وأثرها في بنية المجتمع المدني: مقاربة لترسيخ حالة التعايش السلمي في العراق، مركز الدراسات الاستراتيجية، العراق.

محيسن، زينب (٢٠١٧)، الطائفية السياسية وعدم الاستقرار السياسي في العراق بعد ٢٠٠٣، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، العراق.